مقدمة

أيها القارئ !

هذه مقالات مختلفة فى مواضيع شتى كتبت فى أوقات متفاوتة وفى أحوال وظروف لا علم لك بها ولا خبر على الأرجح . وقد جمعت الآن وطبعت وهى تابع المجموعة منها بعشرة قروش لا أكثر ! ولست أدعى لنفسى فيها شيئًا من العمق أو الابتكار أو السداد ، ولا أنا أزعمها ستحدث انقلابًا فكريًا فى مصر أو فيما هو دونها ، ولكنى أقسم أنك تشترى عصارة عقلى وان كان فجًا ، وثمرة اطلاعى وهو واسع ، ومجهود أعصابى وهى سقيمة ، بأبخس الأثمان ! . وتعال نتحاسب ! إن فى الكتاب أكثر من أربعين مقالاً تختلف طولاً وقصرًا وعمقًا وضحولة . وأنت تشترى كل أربع منها بقرش ! وما أحسبك ستزعم أنك تبذل فى تحصيل القرش مثل ما أبذل فى كتابة المقالات الأربع من جسمى ونفسى ومن يومى وأمسى ومن عقلى وحسى ، أو مثل ما يبذل الناشر فى طبعها وإذاعتها من ماله ووقته وصبره . ثم إنك تشترى بهذه القروش العشرة كتابًا ، هبه لا يعمر من رأسك خرابًا ولا يصقل لك نفسًا أو يفتح عينًا أو ينبه مشاعر فهو – على القليل – يصلح أن تقطع به أوقات الفراغ وتقتل به ساعات الملل والوحشة . أو هو – على الأقل – زينة على مكتبك . والزينة أقدم فى تاريخنا معاشر الآدميين النفعيين من المنفعة وأعرق ، والمرء أطلب لها فى مسكنه وملبسه وطعامه وشرابه ، وأكلف بها مما يظن أو يحب أن يعترف . على إنك قد لا تهضم أكلة مثلاً فيضيق صدرك ويسوء خلقك وتشعر بالحاجة إلى التسرية والنفث وتلقى أمامك هذا الكتاب فالعن صاحبه

وناشره ما شئت ! فإنى أعرف كيف أحوّل لعناتك إلى من هو أحق بها ! ثم أنت بعد ذلك تستطيع أن تبيعه وتنكب به غيرك ! أو تفككه وتلفّف فى ورقه المنثور ما يُلف، أو توقد به نارًا على طعام أو شراب أو غير ذلك !

أفقليل كل هذا بعشرة قروش ؟

أما أنا فمن يرد إلىّ ما أنفقت فيه ؟ من يعيد لى ما سلخت فى كتابته من ساعات العمر الذى لا يرجع منه فائت ، ولا يتجدد كالشجر ويعود أخضر بعد إذ كان أصفر ، ولا يُرقع كالثياب أو يُرفى ؟

وفى الكتاب عيب هو الوضوح فاعرفه ! وستقرؤه بلا نصب ، وتفهمه بلا عناء ثم يخيّل إليك من أجل ذلك أنك كنت تعرف هذا من قبل وأنك لم تزد به علمًا ! فرجائى إليك أن توقن من الآن أن الأمر ليس كذلك وأن الحال على نقيض ذلك !

واعلم أنه لا يعنينى رأيك فيه . نعم يسرنى أن تمدحه كما يسر الوالد أن تثنى على بنيه ، ولكنه لا يسوءنى أن تبسط لسانك فيه إذ كنتُ أعرف بعيوبه ومآخذه منك . وما أخلقنى بأن أضحك من العائبين وأن أخرج لهم لسانى إذ أراهم لا يهتدون إلى ما يغون وإن كان تحت أنوفهم !

ومهما يكن من الأمر ، وسواء أرضيت أم سخطت ، وشكرت أم جحدت ، فاذكر ، هداك الله ، أنك آخر من يحق له أن يزعم أن قروشه ضاعت عليه ! — أولى بالشكوى منك الناشر ثم الكاتب .

القاهرة فى ٢٨ سبتمبر ١٩٢٤

إبراهيم عبد القادر المازنى